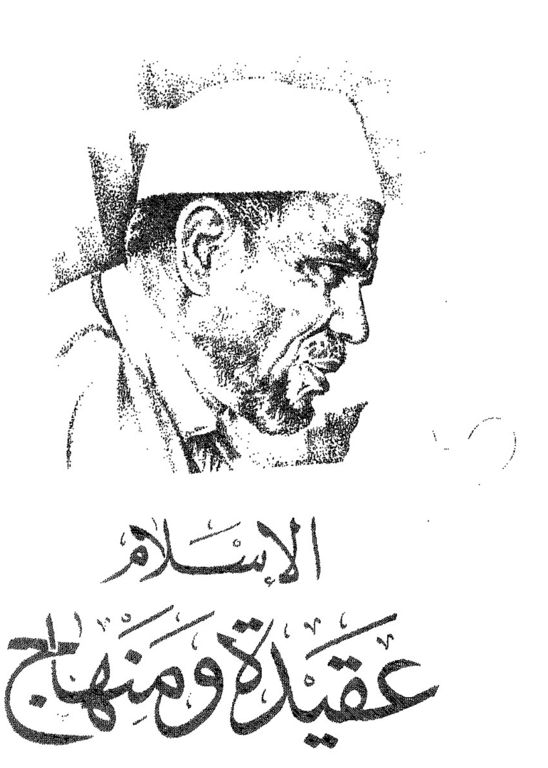
محمد متولي الشعراوي



الإسلام عقيدة ومنهج

مكتبة القرآن

الاســـــلام
عقيدة ومنهاج

الشيخ محمد متولى الشعراوى



مكتبة القرآن




بسم الله الرحمن الرحيم

الحركة والهدف والنسب

... الذى يسعد الانسان هو أن تلتقى حركته مع هدفه فاذا لم تلتق الحركة مع الهدف كان لابد أن يوجد القلق والاضطراب . والحركة والهدف أمران يحتمان وجودهما على تصرف العقلاء المفكرين ، فكل حركة حياة لابد أن يكون لها هدف . هذا الهدف ما الذى يحققه تحقيقا يقينيا وأعنى بتحقيقه تحقيقا يقينيا أن يخرج عن أشياء ، أن يخرج عن أن يكون تقليدا ، وأن يخرج عن أن يكون جهلا ، ويخرج عن أن يكون شكا ، ويخرج عن أن يكون ظناً ، ويخرج عن أن يكون وهما .

فالنسب التى تتحكم فى حقائق الوجود لا تخرج عن هــذه الأشياء أبدا ، اما أمر متوهم ، واما أمر مظنون ، واما أمر مشكوك فيه ، واما أمر مبنى على

الجهل ، واما آمر مبنى على التقليد ، والأمر الذى يســود هؤلاء جميعا هو الامر المبنى على اليقين ، واليقين هو مدلول كلمة العلم فكل قضية من قضايا الوجود لا يحكمها العلم اليقينى فلا تخرج عن واحدة من هذه الأشياء أبدا ، واذا دخلت فى حيز واحد من هذه الأشياء فلا خير فيها ولا بركة منها ، ولنوضح المسألة توضيحا يقربها الى الأذهان .

نقول : اللغــة التى يتكلمها الناس تتكون من ألفاظ مفردة لها معانى محــددة قصــارى ما يؤديه اللفظ المفرد حين ينطق به أن يدل العقل على معنــاه فقط وعلى معنــاه بدون نســبة مسندة اليه فكلمة الأرض حين تنطق يأتى مدلولها بما نعرفه لها بدون نسبة تتعلق به ، وكلمة كرة لها أيضا معنى فى اللغة حين ينطق بهذا اللفظ يؤدى مدلوله بدون نســبة فاذا قلنا : الأرض كروية ، وجدت نســبة ، ومعنى نسبة أننا حكمنا على شىء بشىء والحكم على شىء

بشيء هو النسبة ، والنسب هي التي تتحكم في ذلك الوجود كله فالألفاظ بمفرداتها لا تتحكم في هـذه الحياة الا بمقدار ما تنضم لأختهـا الكلمة فتوجد محكوما عليه ومحكوما به . وحين يوجد المحكوم عليه والمحكوم به توجد النسبة . وما دامت وجدت النسبة فان كانت نسبة علمية أى يقينية فكل حركة تبنى عليها تأتى بالخير ، واليسر ، والجمال ، وكل نسبة لا تدخل فى هـذا المحيط مجهودها ضائع ، يفعل صاحبهـا ما يفعل والنتيجة أن لا شيء أو أنه الضرر ، وهؤلاء الذين يتوهمـون فى النسب غـير اليقينية يقينا ، ويعملون بحركتهم فى الحياة لاثبـات ذلك اليقين هم الذين يظنون أنهم يحسنون صـنعا الذين قال الله فيهم (قل هـل ننبئـكم بالأخسرين أعمالا ، الذين ضل سعيهم فى الحيـاة الدنيا وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا) هم معذورون فى أن يظنوا ولكن ليسوا معذورين فى ألا يجيء الظن لهم

بخير ثم يستمرون فى ذلك الظن ، معذورون فى أن يتوهموا ولكن حين يتوهمون وحين لا يجدون الوهم قد حقق لهم أملا ، فما الذى جعلهم دائما سائرين فى الوهم أو الظن أو الشك أو التقليد أو الجهل ؟ .

اذن فالقضية الأساسية فى الوجود هى أن يحكم الانسان ، أى تحكم حركته بنسبة يقينية لا تقليد فيها للغير ولا جهل فيها ولا شك ولا ظن ولا وهم ، ولنوضح المسألة أكثر من ذلك نقول حينما تكلم العلماء عن العلم قالوا : ما هو العلم ؟ العلم هو أن يظفر الفكر بنسبة كانت مجهولة له، أيا كان موضوع هذه النسبة بشرط أن تكون النسبة مجزوما بها والجزم بها لا يكفى لأن الجاهل قد يجزم بقضية جهلية ولكن الجزم لابد أن يترتب على أنها واقع أيضا ، ولا يكفر فى النسبة أن تكون مجزوما بها ، ولا أن تكون واقعة ، وانما تتطلب شيئا آخر هذا الشيء الآخر هو أن يقام عليها الدليل .. اذا فلا تصل

نسبة ما الى أن تكون نسبة يقينية الا اذا استوفت هذه الأشياء : مجزم بها وواقعة وعليها دليل ، فان كانت النسبة مجزوما بها وواقعة الا أن الجازم بهـا لا يستطيع أن يدلل عليها ، نقول له انتقلت من مرتبة العلم اليقينى الى التقليد فالولد يقول : الله أحـد . يقلد أباه ، ولكنه لا يستطيع أن يدلل على ذلك ــ نقول : النسبة الولد جزم بها وهى واقعة فواقع الأمر أن الله أحـد لكنك اذا قلت للولد وما دليـلك لا يستطيع ، اذا فالولد يعيش الآن هـذه الفكرة فى مرتبـة التقليد لمن يثق فى اخلاصهم له فاذا ما كبر واسـتطاع أن يدلل انتقلت المسألة من التقليد الى اليقين حينئذ تصير علما ، فالعلم اذا يتطلب هـذه العناصر . واذا كانت النسبة مجزوما بهـا ولكنها ليست واقعة ، أى جاء التخلف فى المنطقة الثانية ، لا فى المنطقة الثالثة لأننا قلنا مجزوم بها وواقعة وعليها دليل فان كانت الوقفـة فى الدليل كان هـذا هو

التقليد ، وان كانت الوقفة فى الركن الثانى وهو أنه مجزوم بها عنده ولكنها ليست واقعة نقول له ذلك هو الجهل . اذا فالجهل جزم بنسبة غير واقعية ، اياكم أن تظنوا أن الجهل هو ألا تعلم ، ألا تعلم تلك أمية . والأمية ما أيسرها لأنها ذهن خال تستطيع أن تضع فيه ما تشاء ، ولكن الجهل ذهن مشغول بقضية يجزم بها وهى ليست واقعة . وآفة الدنيا كلها ليست من الأمية وانما هى من الجهل الذى يجزم بقضايا على أنها حقائق وهى باطلة وليست حقائق ، أما الأمية فلا تشكل فسادا أبدا ، والجاهل هو الذى يتعب . لماذا ؟ لأن عنده نسبة غير واقعة فمجادله يحتاج أول الأمر الى أن يخرج من ذهنه النسبة المجزوم بها عنده وهى ليست واقعة وبعد ذلك يدخل فيه النسبة الواقعة . اذا فآفة الدنيا كلها من الجهل لأنه جزم بنسب والنسب غير واقعة . اذا فالنسبة اذا كان مجزوما بها لا تخرج عن هذه الأمور أهى واقعة؟

نعم • أتستطيع أن تدلل عليها ؟ نعم • فذلك هــو
العــلم • أهى واقعة ولا تستطيع أن تدلل عليهــا ،
فلذلك هو التقليد . ولكن اذا كانت النسبة مجزوما
بها وليست واقعة . تقول : ذلك هو الجهل • فاذا
كانت النسبة غير مجزوم بها • أنا لم أجزم بنسبة ،
نقول أن تساوى الطرفان فذلك هو الشك ، لم ترجح
شــــيئا • وان رجحت شــيئا على شيء ذلك هــو
الظن ؟ وان رجحت المرجوح ذلك هو الوهم • فنسب
الحياة لا تخرج عن هذه المسائل أبدا ، علم وتقليد
وجهل وشك وظن ووهم • فمن هم النــاجحون فى
الحياة •• الناجحون فى الحيــاة هم الذين يتبعون
اليقين العلمى ، لا يجزمون بقضية الا اذا كانت واقعة
وعليها دليلها ، حينئذ يسلمون من كل المعاصى وتؤتى
حركتهم ثمرا ولكن اذا كان الأمر كذلك فمن أين
نأخذ النسب اليقينية لنجزم بها وهى واقعة • نقول
لهم : موضوع النسبة يختلف أهو موضوع يتعلق

بأمر مشهدى محس أم بأمر غيبى ، فان كان موضوع
النسبة يتعلق بأمر مشهدى محس فالذى يحكم على
يقين القضية ويقين النسبة ليرتفع بها الى كلمة العلم
وكلمة الحقيقة المطلقة انمـا هى التجربة الحسـية
فالتجربة الحسية فى الأشياء المحسة هى التى تعطى
الدليل اليقينى على أن ذلك حق وعلم .

اذا ما نظرنا للحياة المعاصرة وجدنا أمرين فى غاية
التناقض . نجد أن الحياة الآن فى موجتها المادية التى
تتعلق بالعلم التجريبى المحس المشاهد ونجد ارتقاء
ونجد تقدما حقق رفاهية للبشر جميعا . أمر لا نشك
فيه ولا نجد اختلافا كما قلت سابقا بين مدرسـة
تجريبية ومدرسة تجريبية أخرى ، قلت لا نجد فارقا
بين كهرباء روسى وكهرباء أمريكى ولا بين كيميـاء
ألمانى وكيمياء انجليزى . لماذا ؟ لأن هؤلاء وهؤلاء
محكومون بالتجربة الحسية على المادة الصماء التى
لا تجامل فان دخل عالم معمله بهوى فى نفسه فلن

تعطى التجربة شيئا . وما دامت التجربة على آمر مادى أصم لا هوى له ولا يجامل فسنلتقى نهاية التجارب جميعا الى حقيقة واحدة . حين أخذ العالم حظه من التجربة العلمية أفاد .

ولكننا نجد موجة أخرى أو خطأ آخر فيه خلاف ، وخلاف أضاع فائدة الارتقاء فى الأولى . هذا الخلاف فى المنهج النظرى للحياة ، المنهج النظرى الذى لا تحكمه التجربة والذى لا يحكم بمعمل . فهذا يقول رأسمالية وهذا يقول شيوعية وذلك يقول وجودية . كل واحد يخرج علينا بفكرة لماذا اختلفت هذه الآراء ؟ لماذا هذه النظريات ؟ لأنها ليست محكومة بتجربة مادية تخضعنا جميعا لنتائجها وكل واحد أصبح يتكلم عن هواه . وما دام كل واحد أصبح يتكلم عن هواه فتكون نظريته فى الحياة النظرية خاضعة لما يهوى ، وان حاول جاهدا ألا يصبغ نظريته بهواه ، واختلافهم فى الثانية أضاع اتفاقهم فى

الأولى لأنه صير الحصيلة المتفق عليها من العلم التجريبي وسيلة لفرض النظريات التى تختلف باختلاف الأهواء . ومن هنا نشأ الفساد فى الدنيا ، تقدم فى ناحية مجمع عليها لاختلاف فيها ولكنها لاتسر فى طريقها الطبيعى السلمى وانما سارت لتفرض قضايا اختلف عليها . اذن فكأن الخطين انتهيا الى شيء واحد هو أن العالم فى صراع دائم ، وما دام العالم فى صراع دائم فيجب أن يبحث بحثا آخر . أهو لم يعرف هدفه ؟ أعرف هدفه ولم يستطيع أن يحدد حركته التى توصله الى هذا الهدف ؟ وقفة يجب أن تقفها الأمم لتقول من الذى اذن يستطيع أن يجدد نسبة يقينية فى أمر غيبى لا تحكمه التجربة ولا تكون من خاماته المادة التى لا تجامل ، أنه يجب أن يكون لا هوى له أبدا . وأن يكون عالما بكل جزئيات من يقنن لها ، وذلك لا يتوفر فى البشر على الاطلاق ، فعلم البشر علم محدود ، وان قنن نظريا غير محكوم

بعمل وبتجربة مادية فسيأتى التطبيق ليفسد عليه ما انتهى اليه ، ثم يعدل تقنينه أو يلغيه نهائيا أو يأتى فيه بالمقابل .

اذن فلابد أن نبحث عن مصدر نأخذ منه القيم الغيبية التى لا تحكمها التجربة الا بعد أن تطبق . اذن ففساد العالم أمر طبيعى جدا ، وما دام أمرا طبيعيا فيجب أن نبحث عن علة هذا الفساد . علته اما خطأ فى تحديد الهدف واما خطأ فى تحديد الحركة الموصلة الى الهدف . لو نظرنا الى الهدف وجدناه هو الذى يحكم تصرفات الانسان ، فالحركة من انسان لا هدف له حركة عشوائية تحدث كما يتأتى :

مثلا فالتلميذ الذى يخرج من بيته وهدفه أن يصل فى ميعاده المحدد الى مدرسته حتى لا تفوته فترة من فترات درسه ، هذا تلميذ خرج من بيته وله هدف ، هذا الهدف فى رأسه على مقدار ضخامته فى

تلك الرأس لا يجعل هدفا عرضيا يطغى عليه أبدا ، فان خرج من شارعه ووجد عركة تستلفت نظر أمثاله فانه لا يلتفت اليها . لماذا ؟ فان له هدفا يستدعيه الى ذلك . وان رأى حاويا وله سامر ويأتى بالأعاجيب والناس ملتفون حوله ، أيضا لا يلتفت الى ذلك لأن الهدف الأصيل حكسه بأن يذهب الى المدرسة ، وبعد ذلك جاء طفل آخر خرج فوجد مثل هذه الأشـــياء فنسى الهدف الأصيل وجعل ذلك هدفا حاصلا الآن. نقول : ذلك هدفه ، هو ما هو بصـــدده من حركة ، ليس له هدف .

اذن فلابد من أن يحـــدد الهدف . والأهداف تختلف ومعنى تختلف ، تختلف اختلافا ارتقائيا فليس هدف التلميذ الحقيقى فى ذهابه الى المدرســـة هو الذهاب الى المدرسة ، وانما هدفه فى هذه المرحلة من ذهابه الى المدرسة هو أن ينجح .. ونجاحه له هدف

هو أن يعيش سعيدا فى الحياة يتعب فترة قصيرة من الزمن ليريح نفسه فترة مظنونة أطول من هذه الفترة.

اذن فكل هدف فى الحياة قريب انما هو وسيلة الى هدف أعلى ، وما دامت الأهداف غايتها اسعاد الانسان ، فيجب أن يحدد الانسان منطقة هذا الاسعاد ، أهى منطقة موقوتة ؟ أهى منطقة محكومة محصورة مزمنة كما يقولون أم هى منطقة طويلة كما قلت فى المرة السابقة ، وعلى هذا جاءت مقارنة بين الدينى وغير الدينى ، الدينى الذى يعتبر هذه الحياة وسيلة الى حياة أرقى ، وغاية الى حياة أخلد ، وغاية الى حياة النعيم فيها لا على قدره ولكن على قدر امكانيات ربه ، اذن فلو نظرنا الى الرجل الذى ينظر الى الدنيا على أنها هى الغاية وهى الهدف فليصنع فى الدنيا ما أراد ، لأنه لا هدف له بعد هذه الدنيا ، بل فليحقق لنفسه متعة ، وليحقق لنفسه سعادة ولو على أنقاض شقاء الآخرين . اذن فالذى يحدد الهدف

هو الذى يمكن أن يسير بخطاه وبحركته الى هدفه سيرا مطمئنا الى الغاية ، ولا يكون مطمئنا الى الغاية الا اذا كان الهدف أمرا يقينيا موثوقا به .

اذا نظرنا الى الاسلام كدين جاء بلاغا عن الله وجاء آخر بلاغ عن الله ، ما دام الاسلام دين فهو يقتضى مسلما اليه . ويقتضى مسلما به . المسلم هو الذى أسلم قياده ، أسلم قياده لمن ؟ لمن يثق فيه أنه أقدر منه على ادارة حركة حياته ، حين يثق هذه الثقة يسلم قياده اليه ، فيكون من أسلمت قيادك اليه مسلما اليه فى أى شىء فى حركة حياتك ، ولكن هل جاءت الأديان أو جاء الاسلام الذى يمثل خاتمية الأديان ليجعلك تسلم كل حركة حياتك الى مسلم له ، أم أن الاسلام انما جاء ليجعلك تسلم حركة حياتك المقيدة بأفعل وتنتهى عن شىء مقيد بلا تفعل ثم ترك بقية حركة الحياة حرة فى اطار أن لا ضرر ولا ضرار ؟ فاذا ما نظرت الى قول التكليف افعل كذا

ولا تفعل كذا وجدتها لا تستوعب كل حركة الحياة وانما ترك شيئا لك يسمى المباح تفعله أو لا تفعله فى اطار لا ضرر ولا ضرار والمسلم أخو المسلم هذه الحركة التى أسلمت فيها قيادك ، يجب قبل أن تسلم قيادك الى من يصرف حركتك أن تقتنع بأنه أقدر منك وأعلم منك وأحكم منك وأنه لا فائدة له منك فيما يشرع لك ، وأن الفائدة عائدة اليك . اذا أردت هذه المسألة فلن تجد لها تحقيقا فى البشر أبدا . لأن علم البشر مهما كمل عاجز ، وقدرتهم مهما اكتملت عاجزة، وحكمتهم مهما عرف منها شيئا فقد غاب عنها أشياء، وهواهم لا يمكن أن يتبرأوا منه أبدا ، ثم اذا سلمنا بأن الانسان يمكن أن يسلم قياده الى انسان آخر .

نقول له : هذا الانسان الذى أسلمت قيادتك اليه ، لمن أسلم قياده هو ؟ ثم سلسلها فنجد أنه لابد أن يكون فى أول حلقات الوجود انسان سلم قياده لغير انسان مثله ، والا فالانسان الذى وجد أولا لمن

أسلم قياده • لابد أن يسلم قياده الى أى شيء آخر غير الانسان والا من الذى يجعلك تتحرك فى حياتك الى أن يوجد الانسان الذى تسلمه حركة حياتك ؟ من الذى نظم حياته وأسلمها ليتصرف فيها ؟ اذن فلابد أن تنتهى بالتسلسل الى قضية • هو أن الانسان الأول أو الانسان الأصل لابد أن يكون قد أسلم قياده فى حركته الى غير انسان هى التى تحدد صلة ذلك الانسان أو الكون الآدمى بمن خلقه ، الذى خلقه نظم له أصول حياته : افعل كذا ولا تفعل كذا ، وبعد ذلك كان المفروض أن ينقل ذلك الانسان كل ذلك الى بنيه • ولكن المنهج الذى يحكم حركتك أى منهج السماء الذى يحدد حركة الناس كما قلنا سابقا انما يحدد حركتهم لا ليحجر عليهم ولكن يحدد حركة الفرد ليضمن الحرية للآخرين ، فاذا جاء التشريع ليتدخل فى ألا تختلس مال صديقك أو مال أحد من الناس ، نقول ذلك ليس معناه أنه حجر على حريتك

فى التصرف ، ولكنه حجر على حريتك وحجر على حرية الآخـرين من أجلك . والشىء الذى يقـابل بعوضه لا يعتبر بخسا . لم يقيد حركتك وحدك وانما قيد من أجلك حركة الملايين ، وما دام قد قيـد من أجلك فلا تحزن لأنه قيدك . لأن الذى يحزنك أن يقيدك ولا يقيد من أجلك ، اما أن يقيـدك أنت ثم يقيد غيرك من أجلك ، فشىء بعوضه ومقابله . وهذا لو نظرت اليه فى مقاييس الاقتصاد وجدت أن تقييد الناس بالنسبة لى يعود على بخير أكثر مما يقيدنى بالنسبة للناس . لأنى : هبنى أردت أن أسرق وأراد الناس جميعا أن يسرقوا منى . ماذا تكون النتيجة ؟ النتيجة كفرد أواجه بمجموع ، ففعل الواحد لا يضر كل الجماعة ولكن الجماعة اذا تكاتفت على أضرتنى وانتهت على . اذن فالتقييـد من أجلك أجرح من تقييدك أنت من أجل الناس . اذن فالحركة التى يقيد فيها الانسان يجب ألا ييأس منها ، لماذا ؟ لأنه يجب

أن ينظر الى المقابل . أقيد الناس من أجلى فى هذه ؟
نعم قيد الناس من أجلك فى هذه . وكما قلنا سابقا :
ان الغنى حين نطلب منه أن يؤدى حق الله للفقير ،
نقول له لا تنظر ساعة أن نأخذ منك وأنت غنى ولكن
قدر أننا سنعطيك أيضا من غيرك ان أصبحت فقيرا ،
اذن فالأخذ منك هو تأمين لحياتك ، تأمين لمستقبلك .
ما دمنا أخذنا منك وأنت غني لنعطى غيرك وهو فقير ،
فثق تماما بأننا سنأخذ من غيرك وهو غنى ونعطيك
وأنت فقير . اذن فالشىء الذى يقابل ببديله أمر يجب
ألا ييأس منه الانسان ولكن أن يقدر العوض فيه .

تقنينات السماء حينما جاءت لتتدخل ، تدخلت
فى الأمور النظرية التى لا يهتدى فيها العقل الى شىء
لأن هواه يتحكم فيه . أما الأشـياء الأخرى التى
لا يتحكم فيها الهوى فترك الاسلام فيها حركة الحياة
حرة . علم تجريبى : ابحث ماشئت ، وجرب ماشئت ،
ولاحظ فى ظـواهر الكون ما شئت ، وأخرج من

النظريات ما شئت ، فاذا انتهيت الى حقيقـة علمية فخذها على أنها أساس تنفع به فى ترقية حياتك ، أما أمر لم يوجد فيه مادة لتجرى عليها تجربة والنبع انما هو الهوى فاحذر منه . لماذا ؟ لأن أهواء النـاس متضـاربة . وما دامت أهـواء النـاس متضـاربة فتصبح كل نسـبة خاضـعة لهـوى وما دامت كل نسبة خاضعة لهوى ، اذن فلا ارتقاء للبشرية فى أمر نظرى لا تجربة علمية فيه الا أن يكون صادرا ممن لا هوى له وأن الناس جميعا بالنسبة اليه واحد، ليس له فيهم ابن ولا صـاحبة . اذن فكل النـاس بالنسـبة اليه سواء ، ولو أننـا نظرنا الى موقف الاسلام ، نجد الاسلام جاء بعد أديان . وبعد أديان ركب الرسل فيها قطع مرحلة طويلة من مراحل الحياة .. ان كنا نريد أن نقف فسنقف بالنسـبة للديانتين العظيمتين القريبـة من الاسـلام وهى اليهـودية والمسيحية .

نقول ان اليهود ... حرفوا كتابهم وبدلوا فيه وكتموا وزادوا ولووا ألسنتهم اذن فلم يكن هناك مصدر وثيق أن هذه التوراة هى التى نزلت عليهم ، وذلك بشهادتهم هم أنفسهم ، كما سبق أن بينا بآراء المستشرقين . هذه التغيرات انحازت الى ماذا ؟ انحازت الى جانب المادة ، أم الى جانب الروح ؟ انحازت الى جانب الأمر المادى . وهل يعقل أن يوجد تقنين من السماء يقنن فقط للأمور المادية وينسى الأمور الروحية ؟ . الأمور المادية لو لم يقنن فيها الله تقنينات ، من الممكن أن يضع فيها البشر تقنينات . اذن لابد أن تكون المسائل التى تتعرض للقيم والمسائل الروحية قد طمست من هذه الكتب فظلت مادية بحتة كما قلنا أيضا سابقا ، انهم أرادوا أن يخلعوا أيضا قانون المادة حتى على الاله . يعنى لم يعودوا يؤمنون الا بشيء مادى (حتى نرى الله جهرة) ، والسماء لا تتدخل دائما الا بعد مراحل .

كل دين فيه طاقة توجد فى المتدين تجعل منه اما نفسا مطمئنة الى منهج الله ، واما نفسا لوامة أى تغفل مرة فترتكب معصية ثم تفيق مرة أخرى فتلوم صاحبها . فتصبح الطاقة الموجبة والسالبة فى النفس، واما نفسا حصل فيها صدأ وانتهى كل شيء ، فأصبحت نفسا أمارة بالسوء لا تفكر أبدا فى أن تلوم صاحبها بالسوء أو تعزف عن شر يبقى اذن الدين ، حينما يأتى انما جاء ليطبعنا طبعا لنفس مطمئنة تخضع لمنهج الله ، أو على الأقل نفس اذا غفلت مرة استيقظت مرة أخرى .

أما النفس الأمارة ولذا تجدها أمارة وليست آمرة لأن الأمر ممكن أن يأتى مرة وينتهى . وانما أمارة يعنى صارت وظيفتها أنها دائما تأمر صاحبها بالسوء . فحين يوجد فى المجتمع نفس لوامة يكون هناك اطمئنان ، لأن النفس ستعمل معصية مرة وتستيقظ مرة أخرى ولكن اذا انتقلنا من نفس

مطمئنة ولم تجدها الى نفس لوامة ولم تجدها أيضا وبقيت النفس الأمارة . نقول ذلك فى الفرض ان كان فى المجتمع ما يقيم اعوجاجه التفت الى منهج الخير ، واذا كان المجتمع فسد هو الآخر اذن فلابد أن تتدخل السماء ، ولذلك لا تتدخل السماء بارسال الرسل الا حينما امتنعت أولا النفس المطمئنة ثم امتنعت النفس اللوامة ثم سيطرت النفس الأمارة ولم يوجد خارج النفس مجتمع رادع ليرد الانسان الى طريق الصواب اذن لابد هنا أن تتدخل السماء ، فاذا كان الله قد شاء الى العالم بالخير وجاء بمحمد صلى الله عليه وسلم وبالاسلام ، أعطى له الضمانات التى لا تتطلب رسولا بعد ذلك كيف ؟ قال ماذا تريد فى منهج يقود البشرية مبلغا عن الله ، لأننا نفترض أننا نتكلم الى أناس متدينين .

خصائص المنهج

المفروض فى المنهج الذى يقود البشرية :

أولا : أن أثق فى أنه هو الصـادر عن الله بدون دخول للبشر فيه ولا تحريف .

ثانيا : أن يكون مستوعبا لكل قضية الحياة .

ثالثا : أن لا يتعارض مع حقائق الكون العـادية التى سوف تنتهى اليها العقول .

رابعا : أن تكون شعائره التى تأخذ الانسان من حركة حياته الى حركة خاصة بربه بسيطة لاتستوعب كل وقته .

فاذا نظرنا الى هذه الأشياء والعناصر لا تجدها تتمثل الا فى دين الاسلام ، أما التوثيق فقد تكلمنا بشهادة الخصوم كما قال آر مسترونج ، ووليم قال

فى (تاريخ حياة محمد) فى كلامه عن القرآن قال : القرآن هو كتاب العالم الوحيد الموثق • ونستطيع أن نقول استنادا الى أقوى الأدلة أن كل كلمة فى القرآن دقيقة فى ضبطها كما تلاها محمد •

هذه مسألة فرغ منها الموثقون من غير المسلمين •

• يقول أحدهم : لم تكن هناك وسيلة لتجريف أى جزء من القرآن أو تبديله • ولو بوازع الحماس له ، وهذه ميزة تفقدها الكتب السماوية الأخرى •

اذن فمن ناحية توثيق أن هذا الكتاب من عند الله.أمر مجمع عليه ومتفق عليه اطمئناننا من ناحية هذا العنصر ضرورى ما دمنا نريد أن يقود منهج حياتنا كتاب ليس من صنع البشر • القرآن هو هذا الكتاب الذى جاء دون تحريف ولا تبديل • وبعد ذلك فهو مستوعب لكل أقضية الحياة • فما دام دينا شاملا • دينا خالدا مستوعب للزمان ، مستوعب

للمكان ، اذن لابد أن تكون كل قضية فى الحياة لها حل فيه .

مثلا : ادوار كيور يقـول : ان دماغا فلسـفيا موحدا يستطيع أن يحكم أن كل قضية فى الاسـلام أعلى من تطـورنا الفكرى : هـذا رجل انجليزى صادفته فى فترة من الفترات نخوة للحق فقال هـذه الكلمة .

هذا من ناحية استيعاب المنهج لكل قضـايا الحياة . أما من ناحية أنه لا يصطدم بحقيقة كونية من حقائق الحياة التى تنتهى اليها نشاطات العقول ، فان اليكسى لوازين يقول : وقد خلف محمد (صلى الله عليه وسلم) للعالم كتابا هو سجل البلاغة وآية الأخلاق ، والانسجام تام بين تعاليم الاسـلام وبين القوانين الطبيعية فلا يوجد تعارض بين حقيقة علمية وحقيقة قرآنية ، وهذا الأمر أتعبنا جدا فى دياناتنا [1]

---

(١) يقصد المسيحية .م.

هذه لأنها ليست منسجمة مع حقـائق الوجود لأن التحريف وصل لها . هذا من ناحية اتسـاق آيات القرآن مع حقائق الكون وأقضية الوجود .

أما من ناحية بساطه الشعائر ، نقول حركة الحياة نوعين : حركة تعود على بالنفع المادى ، وحركة ألتقى فيها بربى ، هذه يجب آن تكون بسيطة فى شعائرها ، قصيرة فى زمنها .

يقول القديس بودلى الأمريكى : ان القـديس بطرس [1] لو عاد الى روما لامتلأ عجبا من الطقوس الدينية الضخمة وملابس الكهنوت المزركشـة ولن يعيد البخور ولا الصور ولا الرقع ولا التماثيل الى ذهنه أي شيء من تعاليم سيده المسيح .

ولكن لو عاد محمد الى أى مسجد من المساجد

---

(1) تلميذ وحوارى المسيح الاول .

المنبثة فى العالم ما بين لندن الى زنزبار لوجد نفس الشعائر البسيطة التى كانت تقام فى مسجده بالمدينة المقام من اللبن والآجر وجذوع الأشجار .

اذن لدينا الآن دين كتابه موثق عن الله توثيقا يقينيا ، شامل لأقضية الحياة مستوعب لها ، غير مصطدم بل منسجم مع حقائق الكون العلمية ، بسيط الشعائر لا تستغرق منك جهدا ولا زمنا طائلا . دين كهذا مستوف لهذه العناصر لا شك يحمل معه عوامل خلوده . من ناحية التوثيق أيضا الواقع يدل على ذلك ، لا نستشهد حتى بكلام الخصوم ولكن نستدل بالواقع ، لأن الواقع سيد الأدلة .

فالمسلمون الآن يسيرون فى خطين غريبين جدا ، خط من ناحية المنهج كحاكم حركة فى الحياة نجد أن المسلمين يتحللون كل يوم شيئا فشيئا عن المنهج

الاسلامى وذلك مصداق قول الرســول صلى الله عليه وسلم « لتنقضن عرى الاسلام عروة عروة ، أولها الحكم وآخرها الصــلاة » . لكن فى الخط المقابل وهو توثيق النص القــرآنى الذى يحتوى المنهج الاسلامى نجد أننا سائرين فى خط قوى ، كل يوم نوثق القرآن أكثر من الأول ، العناية بالقرآن كنص وكتاب عناية فائقــة ، والانحراف عن المنهج انحراف فائق أيضا . لو أن العناية بالقرآن نشأت لأنى حريص على المنهج لكان الخطان مع بعضهما ، لكن يوجد خط منفصلين فيه عند الحركة على نهج القرآن وخط مقبلين فيه على توثيق نص القرآن . تدخل بيت الذى لا يصلى تجد عنــده القرآن فى أحسن حجم وأجمل زينة وتجده يضعه فى سيارته . اذن فالمحافظة على توثيق نص القرآن آخذة حقها ، أما السير على منهج القــرآن فضعيف . فلو كانت مسألة توثيق نص القرآن تتبع الهوى اذن لضعفت

كما ضعف تطبيق منهج القرآن ، ولكن عملية التوثيق قهرية صادرة عن الله ونحن مسخرون لهـا مصداقا لقوله تعالى (انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون).

فنجد أن تثبيت نص القرآن آخذ صورا عديدة فهو مكتوب فى المصاحف التى لا تحصى كثرة ، ومحفوظ فى صدور الحفظة من المؤمنين والمسلمين ومسجل على أسطوانات وعلى أشرطه ، ويذاع فى الاذاعات ليلا ونهارا وهذا يعطى فكرة عن أن التوثيق قد بلغ ذروة الدقة والاتقان . وهذا يدلنا أن الله تعالى صادق حينما قال (وانا له لحافظون) أى أنه هو الحافظ لكتابه ولم يستحفظنا نحن عليه ، بينما استحفظ أهل الكتاب التوراة والانجيل فأضاعوهما لأن الأمر بالحفظ أمر تكليفى يجوز أن يطاع ويجوز أن يعصى ، فلما تسرب الوهن الى نفوس أهل الكتاب وغلب عليهم الهوى دخل التحريف والتبديل على التوراة والانجيل ، أما القرآن فوجب

حفظه لأنه الكتاب الخاتم الذى سيبقى الى يوم القيامة ، ولأن السماء لن تتدخل بارسال رسول آخر بعد محمد صلى الله عليه وسلم لذلك تعهد الله سبحانه وتعالى بحفظ القرآن حتى يكون حجة على الخلق وسبيلا الى الحق الى يوم يبعثون . يقول تعالى (انا أنزلنا التوراة فيها هدى ونور يحكم بها النبيون الذين أسلموا للذين هادوا والربانيون والأحبار بما استحفظوا من كتاب الله وكانوا عليه شهداء) ونقف طويلا بين قوله تعالى بالنسبة للتوراة استحفظوا وبين قوله تعالى بالنسبة للقرآن (وانا له لحافظون) حاول خصوم القرآن محاولات شتى ليطفئوا نور الله ولكنهم ما استطاعوا تصديقا لقوله تعالى (فسينفقونها[1] ثم تكون عليهم حسرة ثم يغلبون) . اذن ثبتت قضية التوثيق بالواقع وبأقوال الخصوم .

بقى ألا يصطدم القرآن بحقائق الكون . فالكون

---

(1) يعنى أموالهم ، أموال الكافرين .

حقائقه لا يبتكرها الانسان وانما كانت مستورة عنه فاكتشافه لها جعله ينتفع بها فى دائرة أوسع مع أنها كانت تؤدى مهمتها قبل أن يكتشفها الانســان . فالكهرباء كانت موجــودة فى الكون ولــكن بتعلم واكتشاف الانسان لها استطاع أن ينقلها من ميدانها الأصيل الى ميدان فرعى فى حياته . اذن هــو لم يبتكرها انما هو اكتشف شيئا موجودا فى الكون . اذن حقائق الكون ثابتة من يوم أن خلقهــا الحق سبحانه .

كونك تستطيع بعقلك وعملك أن تســتخدم المقدمات المعلومة لتستنبط مجهولا ثم يصير المجهول معلوما تستخدمه لتستنبط فتجىء ارتقاءات فى الحياة المعروفة بالتطورات العلمية .

والخطر كل الخطر من أمرين على أساسهما قامت مدرستان : مدرسة تربط القرآن بالحقائق العلمية ،

ومدرسة نبعد القرآن عن الحقائق العلمية : فمن أين يجيء الخطر ؟

الخطر لا يتأتى الا من أن تعتبر حقيقة دينية أو قرآنية وهى ليست حقيقة دينية ولا قرآنية ثم نجد حقيقة كونية فتصطدم بها .

اذن من أين جاء الخطأ ؟ الخطـأ تنج من أنك حكمت بأن هذه هى الحقيقة الدينية أو الحقيقـة القرآنية . وهى ليست كذلك .

أو أنك حكمت بأن هذه حقيقة كونية علمية وهى ليست حقيقة كونية ولا علمية أما ان تأكدت وتيقنت ـ كما قلنا فى أصول العلم اليقينى ـ أن هذه حقيقة قرآنية وهذه حقيقة كونية فلا يوجد تصادم أبدا . لماذا ؟ لأن الذى قال ذلك القرآن هو الذى خلق ذلك الكون ، ولو كان الخالق واحدا والقائل غيره لكان من الممكن أن يتضاربوا . اذن ظاهر التضارب هذا

من أين جاء ؟ ظاهرة التضارب هـذا جاء من أنك اعتبرت أن هذه حقيقة قرآنية بفهمك . وهى ليست حقيقة قرآنية ، أو اعتبرت حقيقة كونية بفهمك وهى ليست حقيقة كونية . مثال ذلك كما نشهد نحن فى الصحراء حيث يوجد من يقول : الأرض مبسوطة والقرآن يقول ذلك . فنقول له : يا هذا انك أخطأت فى تسمية هذه الحقيقة دينية أو حقيقة قرآنية ولذلك لما جاءت الحقيقة العلمية الكونية تقول أن الأرض كرة بدأت تحدث فجوة بين ما تقوله الحقائق الكونية وبين ما يقوله القرآن على فهمك فالتصادم جاء من اعتبـار حقيقة دينيـة وهى ليست حقيقة دينيـة ويستشهد على خطأ فهمه بقـول الحق (والأرض مددناها) . لكن (مددناها) هنا يعنى بسـطناها ولكن الخطاب هنا فى (مددناها) عام للناس فهل هى أرضى أنا أم أرضك أنت . أى أرض ؟ اذن ما دامت على اطلاقها كان يجب أنك حين تصل الى

أى مكان فى الأرض يجب أن تتحقق كلمة (مددناها)
وما دام كلمة مددناها ما زالت تتحقق فى أى بقعة من
الأرض ، فهذا لا يتحقق اذا كانت الأرض مربعة أو
مثلثة أو مستطيلة أو أى شــكل مسطح ، لأنك اذا
انتهيت الى حافتها مهما كان شكلها المسطح ومهما
كان اتساع هذا السطح المستوى فلابد أنك واصل
الى حافته وهناك تجد هوة هائلة ولا تجد الأرض
هناك ممدودة بل تجدها محدودة . وهذا يتعارض
مع قوله تعالى (مددناها) . ولكن اذا كانت الأرض
كرة فانك حيث كنت ستجدها ممــدودة حولك فى
جميع الاتجاهات ، أمامك وخلفك وعن يمين وشمال،
ومهما انتقلت من مكان الى مكان فانك واجــدها
ممدودة ولن تجد لها نهاية محددة أبدا .

اذن فالفساد جاء من فهمك أن معنى (مددناها)
سطحناها ، واعتبار ذلك حقيقة دينية قرآنية ، مع أن
هذا الفهم خاطىء واستدلاله بقوله تعالى (مددناها)

حجة عليه لا له . والفساد كما قلنا يأتى حينما تقول : هذه حقيقة دينية ، وهى ليست كذلك ، وتصطدم بحقيقة كونية ، فيكون أصحاب الحقيقة الكونية محقين فى قولهم : ان كان دينك يقول هذا الكلام فهو غير صحيح ، اذن فالفساد هنا ناجم من اعتبار أمر ما حقيقة دينية وهو ليس حقيقة دينية .. هذه مسألة .

مسألة أخرى تجىء من اعتبار شىء ما حقيقة علمية وهى ليست حقيقة علمية مثل ماذا ؟ مثل نظرية (أصل الانسان قرد) هذه ليست حقيقة علمية ، ولكنها جعلت حقيقة علمية وبعد ذلك يجيئون ليصادموها بالقرآن ، تجد أن القرآن ينص على أن كل شىء خلقا مستقلا وكل جنس لم يرق عن جنس آخر ، يقول تبارك وتعالى (ومن كل شىء خلقنا زوجين) ... (فسبحان الذى خلق الأزواج كلها). فاذا قلت أن هذا مترقى عن ذلك واعتبرت ذلك حقيقة

علمية أوجدت تصادما مع حقائق القرآن ، فالفساد هنا تأتى من اعتبار نظرية ما ، حقيقة علمية ، وهى ليست كذلك .. هب أننـا نريد أن نجرب على الله صـدقه ــ مع أن التجربة مع الله شك ــ ولكننا سنبيح لك أن تجرب . هل الشيء الذى لم تشهده ولا يدخل تحت مادتك أتستطيع أن تحكم فيـه لقضية علمية يقينية ؟ أم ظن أو وهم أو أى نسبة من النسب الأولية التى ذكرناها ؟ .

أنت اذن لا تستطيع أن تحكم الحكم اليقينى العلمى الا على أمر تجريبى . وما وراء ذلك خذه عمن يعلمه . لما تحب أن تجرب على الله . أنظر الى قوله : انا خلقتك من تراب ومن طين ومرة قال من حمأ مسنون ومرة قال من صلصال كالفخار وبعـد ذلك نفخت فيك الروح . هـذه مسـألة نحن لم نشاهدها ، فهل نستطيع أن نحكم كيف خلقنـا ؟ لا نستطيع ذلك أبدا . ولكننا نستطيع أن نستقرىء

حقائق الكون والوجود فنجد صدق الله فى عيب أخبرنا به بدليل يقينى مشاهد لنا . انظر الى الحياة تجد نقيضها الموت ، وانظر الى الخلق تجد نقيضه الاعدام .

والقضية الأساسية أن نقض كل شيء على عكس بنائه ، اذا بنيت بيتا ، فيكون الدور الأعلى هو آخر بناء ، ولكنه أولها اذا أردت هدم ذلك البيت . اذا سافرت من القاهرة الى الاسكندرية تكون آخر محطة سيدى جابر . اذا أردت أن تنقض السفر ، أى أن تعود الى القاهرة ، تكون أول محطة هى سيدى جابر . اذن أى شيء يجيء على عكس بنائه . والحياة وبدء الخلق نحن لم نشاهدها (ما أشهدتهم خلق السموات والأرض ولا خلق أنفسهم وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى أن المضلين الذين يخبرونكم بغير ما أخبركم عن بدء الخلق أصلا ، فكيف تأتى لهم أن يخبروكم عن بدء الخلق بل لم

يشاهدوه شيء لم يكن لهم فيه ناقة ولا جمل ، وكيف يتأتى لكم أن تصــدقوهم . انه ليس هنــا غــيرى يصدقكم القول فى هذا الأمر ، (ومن أصدق من الله حديثا) ولكن رحمة بعقولكم سوف أعطيتم ــ ان فطنتم الى حقائق الكون والى الحقائق المادية والعلم التجريبى ــ دليلا على صدق خبره عن بدء الحيــاة ونشأة الخلق .

لقد أخبرتكم بأنى من كذا وكذا ، وبعد ذلك جاء الموت ، والموت أمر مشهدى محس لــكم ، اذن سأنقل لكم الدليل على الغيبى من المحس المشاهد كيف ذلك ؟.. أول ما يموت الانسان ماذا نقول ؟.. نقول : روحه طلعت أو روحه خرجت . وهى آخر ما دخل فيه .. وبعد ذلك يتصلب جسده كما يقول الأطباء أن يتيبس وهذه مرحلة الصلصالية ... وبعد ذلك أى الطين المتعفن المتغير الرائحة من كثرة المياه من جسده ويتفتت ويصير ترابا . ما تفاعل مع بعضه ..

فهذا الترتيب هو عكس ترتيب الخلق كما أخبرتكم به وفى هذا دليل من المشـــهود المحس على الغيبى المستور .. ومن هذا يتبين لنا أن السبب فى التصادم هو افتعال أشياء وتسميتها حقائق علمية حتى تناقض القرآن ، مع أن القرآن تؤيده الحقائق العلمية ... ومن العجيب أن عطاء القرآن فى كل زمن من الأزمان يناسب حملة التشكيك فيه ، كلما قامت حملة تشكيك أعطى عطاء يناسب الحملة . واذا كنا نريد أن نفهم القرآن كله مرة واحدة نكون قد حددنا كمالات الله فى كلامه . والقرآن للزمن كله وللدنيا كلها . ولـــا أفهم أنا القرآن بكل معطياته ، ماذا بقى لأهل القرن الثلاثين ؟ لكى يفهم الجديد من القرآن جديدا لا بد أن تبقى فيه كنوز مستورة ، كل يأخذ على قدر عقله، وكلما قعدت مع القرآن أعطاك عطاء جديدا ، ولذلك يقول الرســـول صلى الله عليه وسلم ـــ وهو أول منفعل به ـــ « لا يخلق على كثرة الرد ، ولا تنقضى

عجائبه ، ولا يشبع منه العلماء » والواقع يؤيد هذا .
فكلما بالغ الناس فى الالحاد ، أظهر الله سرا من أسرار
كتابه الكريم يلفتنا به الى أن هذا الكتاب ليس من
عند البشر ، هذا الكتاب من عند الله الذى يعلم نهاية
العالم كيف ستكون . (سنريهم آياتنا فى الآفاق وفى
أنفسهم ، حتى يتبين لهم أنه الحق ، أو لم يكف بربك
أنه على كل شىء شهيد) .

هذا الكتاب الكريم الذى لا يأتيه الباطل من بين
يديه ولا من خلفه لا يمكن أن يحيط أحد من الخلق
بكل أسراره وكنوزه انما هو :

بين فيـــه كل شىء ومنـــه
آخـــذ قدر ذهنـــه كل تال

ولذلك لم يفسر لنا رسول الله صلى الله عليـــه
وسلم القرآن ، لأنه لو فسره لكان يجب أن يفسره
بما تطيقه عقول معاصريه ، ولو فسره بالأشياء التى

ستوجد فى القرن العشرين أو الثلاثين أو الأربعين لتعجب معاصروه ولا استعظسوه أيسا استعظام لأنه للآن مازال أناس ينكرون آن الأرض كرة تدور . ولو آنه صلى الله عليه وسلم فسره على قدر عقل معاصريه ومعلوماتهم الكونية لحجر علينا ولجمد القرآن . لأن من يتصدر لتفسير القرآن بعد ذلك سيواجه بأن الرسول فسره هكذا ، وعليك ألا تزيد عن ذلك . ولذلك فرسول الله صلى الله عليه وسلم ترك تفسير القرآن حتى تأخذ كل مرحلة فكرية من لمحات القرآن بقدر ما تستطيع ذلك . فى أمور الكونيات . أما المطلوب من الأحكام فقد بينها ــ صلوات الله عليه ــ وأوضحها للناس . هذا من ناحية انسجام الحقائق العلمية مع الحقائق القرآنية .

والآن تعالى نرى الناس الذين أحبوا أن يفهموا القرآن والاسلام على ضوء أديان قبله . لما أسرفت اليهودية فى ما فهموا الأديان قبله أو على ضوء واقع

المادية ، وأراد الله أن يعيد للانسانية ميزان انسجامها، فهم منصرفون الى المادية فما هى الطاقة التى تنقصهم، طاقة روحية ، اذن حتما تأتى المسيحية طاقة روحية بحتة ، ولذلك عندما يسأل عيسى عن مسألة ميراث يقول أنا لم أبعث مورثا ، هو يريد أن يعطى الشحنة الناقصة عند اليهود ، ما هى ؟ هى القيم والمسـائل الروحية ، فجاء بالانجيل (رسولا الى بنى اسرائيل): جاء لكى يدلهم على النقص الذى عندهم . كان من المفروض أن تأخـذ اليهودية من المسيحية النقص الموجود فيها ، وتأخذ المسيحية من اليهودية التقنينات الأخرى للمجتمع ، ولكن حصلت خصومة بين هؤلاء وهؤلاء ، فظل هؤلاء على ما هم عليه وظل هؤلاء على ما هم عليه ، وتعصبت كل فئة لرسـولها ، لم يتفقوا اذن ، كان ولابد من أن يجىء دين يحتوى فى ذات نفسه المقومين : المقوم المادى والمقوم الروحى . لا نقول هذا المقوم من الرسول الفلانى ، وهذا المقوم

من ذاك الرسول . لا ، كله دين واحد يحوى كلا المقومين ، وجاء به رسول واحد ، نزل عليه كتاب واحد يتضمن المقومين جميعا ، حتى نضمن الانسجام فى منهج البشر بين حياتهم المادية وحياتهم الروحية ، وهكذا جاء الاسلام ، ولو نظرت الى القرآن تجده حينما يعرض هذه المسألة لا يعرضها عرض المفاجىء بما حدث من اليهودية ، وبما حدث من المسيحية ، بل يقول أنا الله العالم بما يؤول اليه أمر اليهودية ، وبما يؤول اليه أمر المسيحية ، وأنا قلت لليهود فى كتابهم التوراة نفسه : انكم سوف تنحرفون عن منهج الله فى القيم وتصيرون دينكم دينا ماديا بحتا ، ولذلك سأخرج آخر الزمن أمة تجمع المادية الموجودة فى دينكم والروحية التى نبذتموها ... والمسيحية قال للمسيحيين انكم ستأخذون المسألة على أنها رهبانية منفصلة عن قوانين الحياة ، وهذا دين لا يصلح لقيادة الحياة ، لأنه جاء ليكمل غيره وأنتم جعلتموه

آصلا أصيلا ، فعزلتم الدين عن حركة الحياة ، ولما تعزلوا الدين عن حركة الحياة ، لن يقود الحياة .
وقال لهم : أننى سوف أجيء برسول هذا الرسول والذين آمنوا معه عندهم القيم المادية والقيم الروحية معا : وسيكون فيهم ذلك الكمال الذى رفضتموه معشر اليهود والنصارى .

ونقرأ فى قول الله سبحانه وتعالى (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار ، رحماء بينهم) .
أنظر الى دقة الآداء القرآنى ، لا يمكن أبدا أن تجد واحدا شديدا رخوا ، لا يمكن أن يجمع بين النقيضين ، أبدا أبدا . الذى طبعه الشدة سيبقى شديدا ، والذى طبعه الرخاوة واللين سيبقى رخوا لينا ، ولكن أنظر الى المزيج الايمانى لا يطبع المؤمن على الشدة أبدا لأنه يريده أن يكون رحيما فى وقت من الأوقات ، ولا يكون رحيما أبدا لأنه يريده شديدا فى بعض الأوقات .. اذن المسلم غير منفعل

لغرائزه ولا لدولاب حياته ، انما هو منفعل لمنهج ، حين يقول له المنهج كن شديدا يكن شديدا ، وحين يقول له كن رحيما يكن رحيما ، وليس حسب طبعه هو يكون شديدا دائما أو رحيما دائما .

وانظر الى قوله تعالى (أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين) هل رأيت واحدا يحمل هـذا المزج وأنه ذليل عزيز فى وقت واحد ، هـذا ليس ممكنا فالذليل سيبقى ذليلا ، والعزيز سيبقى عزيزا ، اذن كيف يكون المؤمن ذليلا عزيزا فى وقت واحد ؟ نقول لك لأن المؤمن ليس طبعه هو المتحكم فيه وانما هو منهج من ربه حينما يريد منه العزة يكون عزيزا ، وحينما يريد منه الذلة يكون ذليلا (محمد رسول الله والذين معه أشداء على الكفار رحماء بينهم ، تراهم ركعا سجدا يبتغون فضلا من الله ورضوانا ، سيماهم فى وجـوههم من أثر السـجود ، ذلك مثلهـم فى

التوراة [1]) فلماذا اذن صور هذا المثل للتوراة ؟ لأن هذا العنصر ــ وهو القيم الروحية والنفسية فى هذه الآيات ــ هذا العنصر هو المفقود عند اليهود . فقال لهم سوف أرسل رسولا صفته ومن معه هــذه القيم التى أضــعتموها ... (ومثلهم فى الانجيــل كزرع أخرج شطأه فآزره فاستغلظ فاســتوى على سوقه . يعجب الزراع ليغيظ بهم الكفار) هنا نقل المثل الى المقابل ، من المثل الروحى الى المثل المادى ... والذين يريدون أن يجنحوا بالاسلام الى مادية بحتة ويريدون أن يرفضوا ما فيه من قيم روحية ، نقول لهم صرتم يهودا ، والذين يريدون أن يجنحوا بالاسلام الى الناحية التعبدية الشــعائرية ويتركوا ميــدان الحركة وميــدان الحياة نقول لهم صرتم نصــارى . ولو اكتفى الحق سبحانه بالنصــارى ليقودوا الحياة لم يكن ليخرجكم ، أو اكتفى باليهود

(١) سورة الفتح الآية : ٢٩ .

لم يكن ليبعثكم ، انما أخرج هذا المزيج حتى يؤدى الانسان ما تنطلبه قيمه ، وما تنطلبه حركته فى الحياة، فأى انسان يخرج عن هذا الى أن يصرف الدين الى المادية أو يصرفه الى الشعائر التعبدية ، نقول له أنت لست مسلما كما يريد الله أن تكون مسلما . وعلى ذلك يجب أن نفهم القضية الأساسية وهو أن نصل الى حقائق يقينية نسميها علما لا تقليدا ولا جهلا ولا ظنا ولا شكا ولا وهما .

اذن هل العلم فقط هو أن نعلم ما قال الله وما قال الرسول ؟

وهل العلماء فقط هم الذين يعلمون فقه الدين ؟ ... لا ..

انما العالم هو كل مستنبط لقضية من قضايا الكون أيا كان لون هذه القضية ما دامت تؤدى يسرا فى حياة البشر ، هذا هو العالم فى نظر الاسلام .

اقرأ قول الله تعالى (ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفـــا ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر ومختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك) بالله هل جاء لى بحكم شرعى فى هذه الآيات ... أبدا.. هذه كلها مظاهر كونية . فى الكون جمـــاده ونباته وحيوانه وانسانه أى كل المخلوقات المشاهدة وبعد ذلك قال (انما يخشى الله من عباده العلماء) [1] هل العلماء هنا الذين يعرفون ما قال الله وقال رسول الله ؟ أم العلماء هنا الذين يبحثون فى نزول الماء من السماء واخراج الثمرات المختلفة من الأرض وفى الجبـــال واختلاف ألوانها وموادها ، واختلاف أشكال وألوان الحيوان والانسان ؟ . ما دام العلماء ذكروا بعد هذه المظاهر الكونية فلا شك أن المقصود بهم هم العلماء

---

(1) سورة فاطر الآية : ٢٧

الذين يبحثـون فى مظـاهر وأسرار هـذا الكون ويستكشفون طبائع هـذه الأشياء والقوانين التى تربطها . ويبقى هذا من علم الاسـلام . ولو نظرنا الى قول الله تعالى (ومن الناس) نفهم أن علم الدين حسب ما قال الله وما زال الرسول متعلق بالانسان فى بعض نواحيه فقط . ويكون الدين اذن لم يحجر على العقل . بل دعاه للفكر والنظر .

ولو نظرت الى أساس أى رقى حضارى ، أو اكتشاف سر كونى ، لوجدت منشأه الملاحظة العلمية أولا ، ثم التجربة ثم النظرية ، ثم حقيقة علمية ، وهذا هو ما يريده الله منا حيث يقول (وكأين من آية فى السموات والأرض يمرون عليها وهم عنها معرضون) ما دام الله ينعى علينا أننا نعرض عن مظاهر الكون . اذن هو يريدنا أن ننظر ونتدبر ونقف على كل ظاهرة كونية وقفة نستنبط منها شيئا نفيـد منه . وكل

الظواهر الكونية التى استنبط العلماء منها فوائد للناس كان الناس يمرون عليها وهم عنها معرضون .

اذن القرآن يلفت الى المنهج العلمى التجريبى . بعد ذلك نبحث هل القرآن نزل اليوم ؟ انه نزل من أربعة عشر قرنا وهل ظل كلاما نظريا ليس عرضة للتطبيق ؟ لا . عرض للتطبيق . اذن لماذا لا نأخذ واقع تطبيقه كما نأخذ مبادىء البشر وقوانينهم الوضعية ؟ . الذى ينجح فى التطبيق يبقى ، والذى لا ينجح نعدله أو نلغيه . ولو أن القرآن نزل اليوم نقول اننا لسنا فارغين لكى نجرب ولكن القرآن نزل منذ أربعة عشر قرنا ، وقاد حياة ، وصنع حركة وأوجد مدنية . عندما نأتى نتجادل مع شيوعى فيقول لك هذا الدين خرافة . نقول له ليس لك شأن بالدين . يعنى اذا كنت تقول هذا المنهج من الله والله فى نظرك خرافة ، نحن لا نجادلك فى ذلك أنت حر . هب معى فلوس ناقشنى فيها حقيقية أم هى مزيفة .

لكن لا تناقشنى فى مصدرها ولا تقل لى من أين لك هذا . أنا أقول هـذا المنهج جاءنى من الله . وأنت منكر لله . ما علاقة المنهج بالمصدر الذى جاء منه . ناقش منهجى ، ومنهجك ناقش منهجى وعطـاءه ومنهجك وعطاءه وبعد ذلك لا يعنيك أن أقول أن هذا المنهج من ربى أو ليس من ربى . اذن أنت لمـا تجادله تقول له ليس لك شأن ان كان هذا دين أو ليس دين هبة من صناعة البشر وبعد ذلك دعنى فى معتقدى وهو أننى لم أصنعه ويكفى أن تعلم صدقى فى كمال أنا لا أدعيه شىء كامل وأنا لا أدعى أنى صنعته فيقولون لمحمد هذا المنهج أتيت به من عندك فيقول (لو شاء الله ما تلوته عليكم ولا أدراكم به لقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) فهل هنـاك شخص يعزى اليه هذا الكمال وبعد ذلك يقول : لا والله هذا ليس من عندى . بينما فى المقابل أن أناسا يدعـون من الكمـال ما ليس لهم ، والعجيب أنهم

ينسبون القرآن لمحمد بعـد أن تبين لهم أنه الحق فيقول القرآن على لسانهم (لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم) اذن الوقفة ليست فى القرآن وانما الواقفة فى أنه أنزل على محمد . انمـا القرآن على العين والرأس فيقولون (ان نتبع الهدى معك نتخطف من أرضنا) كأنهم آمنوا أن ما معه هو الهدى ولكنهم يتوقفون فى شخص النبى الكريم فيقولون (ان كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو أئتنـا بعذاب أليم) [1] منطق العقل يقول لو كان هذا هو الحق أهدنا اليه . أليس هذا هو منطق العقل فميزوا أيها الناس وأعقلوا كما يقول الحق (لو شـاء الله ما تلوته عليكم وما أدراكم به لقد لبثت فيكم عمرا من قبله أفلا تعقلون) أنا عشت أربعين سنة أنا منكم ولست طارئا عليكم وأنتم تعرفوننى وهل جربتم على أننى أنطق بالحكمة

---

(١) سورة الانفال الآية : ٣٢ .

كل يوم • أو هل رأيتم عبقرية تتفجر فى سن الأربعين ومن كان يضمن لى أننى سأعيش الى سن الأربعين لكى أنطق بهذه العبقرية ولا أموت قبل أن أفجرها ••
والمهم أن النـاس لا تلتفت الا لقضيتين وتريد أن تحمل الاسـلام وزر المسيحية المحـرفة ، المسيحية الحقيقية ليس لها وزر ــ حاشا لله ــ المسيحية التى حرفت وأصبحت سلطة كنيسة وسلطة بابا فأرادوا أن يحملوا الاسـلام وزر المسـيحية فيقولون أن المسيحية والكنيسة قادت الحيـاة فى أوربا فكانت العصور المظلمة وتأخرت • نقول لهم : صدقتم ولمـا انعزلت حركة الحياة عن سلطان الكنيسة وسلطان البابا تقدمت وارتقت وهذا واقع لا ننكره ، ومادامت الكنيسة تمثـل المسيحية فتكون ممثلة لكل الدين فيكون الدين كله اذا تحكم فى الحيـاة فسيعطيها تخلف نقول له : أولا الأقيسة التى أقمتها أقيسـة باطلة • لماذا ؟ لأنك فرضت أن ما يصـنعه البـابا

والكنيسة هو المسيحية وذلك خطأ ، وفرضت أن المسيحية التى كانت موجودة فى وقتها هى المسيحية التى نزلت على السيد المسيح وذلك خطأ آخر . وفرضت أن المسيحية جاءت لتقود الحياة وحدها وهذا خطأ ثالث . ثلاثة أخطاء .

اذن يوم تتأخر أوربا لأن الكنيسة قادتها يكون كلام منطقى ، ويوم تتقدم أوربا يكون كلام منطقى، لأنها جاءت بقيم روحية فقط وحجرت على العقول أن تبحث وأن تجرب وكل عالم يبحث يعذبوه أو يشنقوه أو يقتلوه وهذا سبب منطقى لتأخر الحياة .

لكن العيب أنك حملت المسيحية وزر الكنيسة وحملت المسيحية بالأديان كلها وحملت الاسلام على أنه دين من الأديان . نقول له كان يجب أن تدرس طبيعة هذا وطبيعة ذاك وترى هل هناك خلاف فى الطبيعتين فان كانت متحدة ما كانت هناك ضرورة

لأن ينزل اسلام بعد مسيحية .. وبعد ذلك متى ثرت على الكنيسة وسلطانها وعلى تحكمها في جوانب الحياة ؟

أنت لم تثر هذه الثورة الا بعد ما حضرت ورأيت المسلمين بعد الحروب الصليبية التى جمعتك بنا وعلمت أنه ليس عندنا بابوية ولا سلطان كنيسة وأن العقل حر فى مجاله المادى يبحث كما يشاء وينشط كما يشاء ووجدت عندنا تراثا لازالت جامعتك تدرسه وأنك أخذت حضارتك من عندنا كل هذا أخذته من عندنا . اذن عليك ألا ترمينا بما رميت به المسيحية . وتبقى عندنا نقطتان : يوم أوربا ما كانت متمسكة بسلطان الكنيسة تأخرت . هذه قضية لا خلاف فيها ونحن يوم كان قياد حركتنا الى الاسلام تقدمنا ، ولما تركنا قيادنا من الاسلام تأخرنا، وهم لما تركوا قيادهم من المسيحية تقدموا فماذا نقول ؟ عندنا جرعتان طبيب وصف لى جرعة عندما

أتناولهـا صحتي تقوى ، وعنـدما أتركهـا صحتي تضعف ، وطبيب آخر وصف لي جرعة أخرى عندما آخذها أمرض وعنـدما أهملها أشفى . معنى ذلك صحة هذه الجرعة وفساد هذه الجرعة .

اذن حين تمسـكنا به سدنا وكانت لنا حضـارة قادت الدنيا وما فيها ، ولما تخلفنا عنه تأخرنا . ودين آخر لما كانوا متمسكين به تأخروا ولما تركوه تقدموا في الحياة . ماذا نفهم من هذا ؟ أفهم صحة هـذه الجرعة وسلامتها وفساد هـذه الجرعة . اذن يجب علينا أن ننظر الى العالم القلق فنقول له انك لم تحدد هدفك في الحياة أولا . وهب أنك حددت هدفك في الحياة فهو نوعان واحد مصدق بالآخرة والآخر غير مصدق أن فيه آخرة فالاثنان يختلف تصرفهما تجاه حادث مفـاجيء فلنفرض أنه قامت حرب فالمعتقـد بالآخرة وبالقيامة يقول يمكن تنفجر قنبلة تدمرني لما نلحق نصلي أو نصوم ونعمل حسنات نقابل بهـا

ربنـا .. الموقف الآخر : فى الذى لا يؤمن بوجود آخرة نجد تصرفه أمام نفس الموقف كالآتى : يقول لما ألحق أتمتع بالدنيا قبل أن تأتى الآخرة « هيص » اذن الذى يحـدد سلوك الانسـان وحركته معرفة الهدف فيظل العـالم تعبان دائما . لمـاذا ؟ لأنه لم يستطع أن يحدد الهدف . ولكن ماذا يريد أن يحقق حتى لا يكون العـالم قلقا . لابد أن يكون عنـدنا المقياس فيخبرونا أن الشباب فى خوف وقلق ويأس. والواقع والأمل ، أنت لا تحزن من واقع تعيشه الا لأنه لم يحقق لك أملا مستقرا فى رأسك فما هو الأمل الذى نريده للحياة لكى نعرف ان كنـا وصلنا اليه فنطمئن وان كنا لم نصل اليه فنقلق ، فهـل حددنا هدفنا ؟ اذن لابد من تحديد الهدف واذا لم يحـدد الهدف فتكون حركتكم عشوائية تماما مثل الطفل الذى ذهب الى المدرسة بهدف والآخر الذى خرج بدون هدف ، حركته فى الحياة هى ما تأخذه ولكن الذى

له هدف فى الحياة انطلق اليها وترك بقية الأهداف .
وخطأكم أنكم لم تحـــددوا هدفكم فى الحيـــاة وان كنتم تحددوا علاقة ذلك الانسان بذلك الوجود .

وهذه الاضطرابات تحدث لأنكم تقننون تقنينات على قـــدر معرفتكم وما دمتم تقننون على قـــدر معرفتكم والنفس الانســانية معقدة فيهـــا ملكات لا يسكن أن نعرف مطلوبها .. ولكن خالقها هو الذى يعرفها وما دام خالقها هو الذى يعرفها فيكون أحق وأعرف بتقنين الأشياء التى تريحها ولذلك قلنا لماذا ينتحر الشـــباب فى البلاد الراقية ؟ ولمـــاذا يصاب بالجنون ويصاب بمرض عصبى وعنده كل وســـائل الحياة ورفاهيتها وكل شىء لأن عنده ملكة فى نفسه جائعة ولا يدرى ما هى هذه الملكة وما علاجها وما يشبعها ثم ان الجماعة الذين عرفوا الهدف لم يضبطوا حركتهم حتى تحقق لهم الهدف ، ذلك نراه حتى فى نظام الكون . فنجـــد أن الأشياء التى فيهـــا حركة

الانسان اختيارية هى المضطربة والأشياء التى ليس له فيها حركة نجــدها مستقيمة وتســير فى منتهى الانتظام ، وعلى سبيل المثال نجــد معظم الشكاوى شكوى القوت ، والمال ، والملبس فى حين لم نجــد شخصا يشكو من قلة التنفس مثــلا لأن الهواء لم يضــعه الله فى يد أحد ولم يجعل لأحد فيــه عملية اختيارية وأقل منــه المــاء لأن الانســان له فيهــا بعض العمل •

والناس أخذوا يصنعون أشــياء وهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا فيكدسوا مبانى والمدينة ليست معدة لتحمل مثل كل هذا العدد الضخم ومع ذلك فهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا •• وعندما جاء فى صناعة مواسير المجارى والمياه لم يضع فى اعتباره مقدار تحمل هذه المواسير لأى جهد ومدى الفترة التى تتحملها • وذلك لأنه أخطأ فى التقدير ، ولكن عنــدما كان الانســان يسكن فى الصحراء ، كانت

فضلاته التى تخرج منه لا تمثل ضررا لأن الشمس تبخرها والرمال تتشربها ، ولا تشم لها رائحة بينما تشم لها رائحة فى المدينة لأن المواسير تنفجر نتيجة لسوء التقدير وسوء التخطيط ، وهذه الأخطاء نتيجة أن الانسان فهم أو علم شيئا وغابت عنه أشياء . اذن تكون النتيجة أن يتعب الانسان ، وكان يجب على الانسان أن يفهم المسائل كلها من أصولها . مثلا مخترع الـ د.د.ت قال اننى سوف أبيد دودة القطن، هذا شىء حسن ، لكن ظهرت آثار جانبية لهذا المبيد لأنه لا ينتهى مفعوله بامتصاص دودة القطن له ، بل يبقىأثره الضار بعد ذلك علىالانسان والحيوان وحتى النحل يتأثر بهذه المبيدات ، وهذا حدث لأنك لم تستقص البحث الكيماوى الى نهايته ولأنك علمت شيئا وجهلت أشياء أخرى . كذلك بالنسبة لمبيد قواقع البلهارسيا فى بحيرة قارون نجد أن السموم لم تذهب مقابل القواقع ولم يحدث اختزال هذه مقابل

تلك ، ولكن بقيت سموم تتسرب فى الماء وتؤدى ضررا وشرا . عندما نأتى لحركة الكون نجد أن صنعة الله من الانسان والحيوان والنبات ، فضلاتها نافعة ، وعادم كل صنعة البشر ضار ، لأننا استخدمنا الآلة ولم ننظر ما هى نتائجها التى تأتى بطيئة ، ولكن مثلا روث البهائم عندما يبقى فى الغيط يعطى خصوبة للتربة ونماء للزرع وكذلك فضلات الانسان نافعة . ولكن فضلات أو عادم صناعة الانسان ضارة والتلوث البيئى المنتشر فى الدنيا الآن ناتج من عادم ومخلفات صناعة الانسان ، وهذا يشير وينبه الى أن الانسان هو لو انفرد بالحركة بدون أن يقيده منهج فسيكون كل عمله شرا .

اذن ماذا يجب أن يحكم حركة الانسان ؟ .. منهج الله .. اذا أطاع الانسان منهج الله فى حركته فى الفعل والترك ، وعاش فى قالب التكليف الربانى ، فسيكون مثل الأشياء المسخرة فى الكون كالشمس

عندما تشرق وتغرب ، وكالقمر عندما يتنقل فى منازله
.. وعندئذ سوف تنتظم حياته ويريح ويستريح .

اذا نظرنا نجد أن الأشياء التى تأتى من النـــاس للناس هى التى فيها التعب انما الذى يأتى مـــن الله مباشرة ليست فيه تعب أبدا ، مثلا بالليل واحد ينير بالكهرباء ، وواحد أحضر « كلوب » وواحدا أوقد (نمرة ١٥) وآخر (نمرة ١٠) ، وثالث (نمرة ٥) ، ورابع (لمبة صاروخ) أى من غير زجاجة ، كل واحد حسب امكانياته ، فاذا أصبح الصباح وطلعت الشمس نقول آطفئوا مصابيحكم فقد طلعت شمس الله تساوينا جميعا فى شمس الله . فالشىء الموصول بالله مريح ، والشىء الذى عندنا نحن هو المتعب .. وعند النظر الى مشكلة الحياة الآن ، ومشكلة المذهبين المعاصرين تجدها مشكلة تتعلق بالأمن وبالـــكفاية ، ماذا قال ربنا لآدم عندما اسكنه الجنة ؟ قال (ان لك ألا تجوع فيها ولا تعـــرى ، وأنك لا تظمأ فيهـــا ولا

نضحى) ضرورات الحياة ما هى ؟ • ألا تجوع • هذا الطعام ، ولا تعرى • هــــذا هو الملبس ، ولا تظمأ • هذا هو الشراب ، ولا تضحى • هــذا هو السـكن • هل ضن الله علينــا بضرورات الحيــاة الأساسية ؟ لم يضن سبحانه ولكنى أنا الذى فرضت مستوى معين لحيــاتى ، وبعــد ذلك أريد أن أرغم دخلى على أن يقوم بهذا المستوى من الحياة فيعجز وليتنى حين حددت مستوى حياتى حددته على قدر طاقتى وحركتى فى الكسب الحلال ، لا ، ولـكننى حددته حسب هواى وحسب عرف الناس وبعد ذلك أحاول أن أصل اليه ، واذا عجزت ، أرتشى أو اختلس •• أو أعيش نكدا متبرما ، من هنا جاءت المتاعب •

عندما انعزل الناس عن الله ، لم يعجبهم قدر الله • أرونى موظفا أحترم قدر الله وعاش وتعب فى الحياة هب أنى موظف بخمسين جنيها ولى زميــل موظف بخمسين جنيها لكن أبى أنا فقير ، أنا أســـاعد أبى

بخمسة عشر جنيها ، يبقى لى خمسة وثلاثين جنيهــا وزميلى أبوه غنى يعطيه عشرين جنيها ، يبقى دخله سبعين جنيها . أنا لو حاولت أن أسايره وأقلده فى كل شىء سوف أتعب . اذا لبس حلة جديدة وأردت أن أشترى مثله كل جديد ، سوف أتعب . اذن أنا لم أحترم قــدر الله ، وساضــطر الى أن أرتشى أو أختلس . ومعظم الفساد فى المجتمع نشأ من هــذه المسألة . اذا أردت أن ترفع مستواك ، عليك أولا أن ترفع كفاءتك وحركتك ومجهودك فيرتفع دخلك وعند ذلك يرتفع مستوى حياتك ، ولكن اذا اتبعت العكس نشأ الفساد فى الأرض .

وان كان هناك انسان عنده طموح ، نقول له : الطموح ليس فى المستوى ، الطموح فى الحركة التى تعود بدخل يحقق المستوى المطلوب .

اذا وجدنا هذه القناعة فى جميع قطاعات الحياة

سوف نجد الراحة والاطمئنان ولن يمد أحد عينيه الى ما عند غيره لأنه اقتنع أن هذا قدر الله سبحانه لكننا الآن نعيش فى مجتمع جاهلية كما يقول أولادنا ومعنى جاهلية كما قلنا أولا ليس « ألا نعرف » وانما نعرف قضايا غلط باطلة وتؤمن بها . وعدم معرفتك للحق ليس مشكلة ، انما المشكلة أن تعرف الباطل وتظنه حقا وتؤمن به وتدافع عنه . واذا نظرنا الى الحروب والصراعات فى العالم نجد أنها ممتدة غير منتهية ولا منحسمة ، فهذه حرب ساخنة وتلك حرب باردة . ولا تنتهى بظفر أحد الطرفين وانما هو توازن قائم ، وصراع دائم . لماذا ؟ كما قلنا سابقا لا يوجد حقا أبدا فى قضية واحدة انما هو حق واحد ، وما عداه فهو الباطل . وقلنا أن الصراع بين الحق والباطل لا يطول لأن الباطل كان ذهوقا ، وجربوها فى التاريخ أما الصراع المرير الذى يطول ويشقى الدنيا معه فهو ما يكون بين باطل وباطل ،

لا يوجد بينهما من هو أولى بنصر الله ، فيتصارعان ويتآكلان ويعيشا شجى فى حلوق بعضهما . ومن رحمة الله أن يوجد للباطل باطل يقاومه والا انفرد باطل بالسلطان . لذلك تجد التوازن بين الباطل قائما رغما عنهما وقهرا منهما اذن لما تجد المعارك طالت أعرف أنها بين باطل وباطل ، أما اذا كانت بين حق وباطل فسرعان ما تنجلي غمراتها ، ويخرج الحق من نقعها المثار مظفرا ظاهرا ولله عاقبة الأمور .

نحن لو نظرنا الى العالم الآن نجد اننا محسوبون على أننا مسلمون ، يسموننا مجتمع اسلامى ، نحن فى الواقع لسنا مجتمعا اسلاميا . نحن جغرافية اسلامية .

اذن ما هو السبيل الى مجتمع اسلامى ؟ ماذا نفعل ؟

الحل أن تعرف طبيعة دينك ، أن هناك أمورا

ولايتك فيها على نفسك ، وأموراً فى الدين ولايتك فيها لغيرك . فهل أديت ما ولايتك فيه على نفسك كما يريد الله ؟ لتطلب من غيرك أن يؤدى ما ولايته فيه على الناس كما يريده الله اذن لابد أن تنبع المسألة أولا فرديا بمعنى أن ينفذ كل فرد ما ولايته فيه على نفسه حسب منهج الله ليس هناك قانون يمنع الصلاة أو الصيام أو الزكاة . وعندما طلع قانون يحدد عدد الحجاج بحد معين ـ حتى لا تذهب العملة الصعبة الى الخارج ـ عند ذلك صار حجى أن أطلب من ولى الأمر أن أحج فاذا أجاب فيها وان لم يجب فقد حججت والحمد لله . وبعد ذلك عندما ننظر فى الأمور التقنينية الخاصة بالبشر ، نجد أمور التقى فيها الدين بالقانون الوضعى فمثلا الدين حرم السرقة والقانون الوضعى حرم السرقة ، والدين حرم الرشوة والقانون الوضعى حرم الرشوة ، وكذلك الاختلاس اتفق الاثنان على تحريمه . اذن

لما أكون أنا متدينا وأنفذ قانون دينى ، أنا لم أهدم القانون الوضعى • يبقى أمر آخـــر : أشياء القانون الدينى له فيها حكم والقانون الوضعى ليس له فيها حكم مخالف • مثل الخمر ، دينى ينهـــانى عن شرب الخمر ، القانون الوضعى لا ينهانى ولا يأمرنى بشرب الخمر • هنالك وضع ثالث : أن يكون القانون الدينى له حكم فى أمر ما والقانون الوضعى له حكم مخالف فى الأمر • نقول لك : هل ضرورات حياتك ـــ وأنت الأمين على هـــذه الضرورات ـــ تضـــطرك الى أن تخالف أمر دينك ، ان كان كذلك فاعمـــل المخالفـــه واثمها على من قننها ، وان لم تكن ضرورات حياتك تلزمك مخالفة أمر دينك فقـــد جعـــل الله لك فرجا ومخرجا ، والله سبحانه قال وهـــو الرحيـــم الودود (ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون) ولم يقل « ومن لم يحكم » (بضـــم اليـــاء وفتـــح الـــكاف) • اذن أصـــبحت المســـئولية مســـئولية

الحاكم . فاذا ما اقترضنا بالربا من دولة أخـرى ، نقول : يا ولى الأمر هل الربا شيء ضرورى ، يقول لك : اذا لم اقترض فسوف ينهار اقتصادى والدول الأخرى لا تقرض بدون ربا فأنا مضطر الى ذلك . نقول له : خذ الضرورة بقدرها ، ولكن على شريطة ألا تقول هذا حلال ، لأن أكلك الميتة لا يجعلها حلالا أبدا ، انما هى حرام أباحتـه الضرورة ، وأنك اذا حللتها واستمعت الى خطباء الفتنـة الذين يحللون الحرام دخلت فى دائرة الكفر ، انما نقول هى حرام والظروف اضطرتنى اليها فتبقى فى نطاق المعصية .

نعود لما كنا فيه ، كيف نقيم مجتمعا اسـلاميا ، هل نقيمه من الأساس نستمع لقول الحـكيم الذى قال « لا يصلح آخر هذه الأمة الا بما صلح به أولها » .. ننظر ماذا صلح أول هذه الأمة . **لاشك أنهـا** العقيدة تأصلت أولا ورسخت فى القـلوب ، فاذا تأصلت العقيدة فى القلوب هان عليك أن تقود النفوس

الى حاكم ظالم لا يحكم بالاسلام لتهدمه وتهـــدم حكمه . عندما يكون عند المؤمن العقيدة التى تفهمه أنه أمام احدى الحسنيين اما النصر واثبات شريعـة الله ، واما الشهادة . أصل هذه العقيدة أولا وبعـد ذلك انتظر نصر الله ، وأخوف ما تخافه أن تقوم هبة فردية من هذه الهبات الفـردية وحينـــما يصـاب أصحابها بسوء لا تجد واحد من اتباعها حولهـم . اذن العقيدة لم تكتمل ، وليس هناك واحد يقعد فى الميدان وحده . فيجب ألا ننخدع وقت السلام بأن هذا له أنصار . وهذا له أحباب . لقد رأينا طاغيـة استبد بصاحب دعوة ولم نجـد أحـدا يغضـب له وسارت الحياة رتيبة كما هى . لماذا ؟ ولكن عندما قيل لخبيب صاحب رسول الله صلى الله عليـه وسلم عندما قدمه المشركون للقتل : أتحب أن تـكون فى أهلك ومحمد مكانك ؟ فقال : والله ما أحب أن أكون فى أهلى ، ومحمد تصيبه شوكة وهو فى موضعه .

لذلك يجب ألا تنخدع بالمظاهر الرخائيــة والى أن تكتمل العقيدة فى النفوس تهون كل التضحيات . انظر الى أثر التربية والعقيدة فى النفوس . رســول الله صلى الله عليه وسلم لم يعمل سجنا يسجن فيــه المخالفين ، ولما تخلف عنه فى غزوة تبوك ثلاثة نفر لم يسجنهم ولكنه عزل الناس عنهم وهم فى المجتمع ، لا يكلمهم أحداً ولا يعاملهم أحد حتى أقاربه . حتى أن الرسول أمرهم ألا يقربوا نساءهم ، فعزلهم حتى عن أقرب النــاس اليهم حتى ضاقت عليهــم الأرض بما رحبت ، وضاقت عليهم أنفسهم وظنوا ألا ملجأ لهم من الله الا اليه فتاب الله عليهم . والمسلم كان فى نفسه وحدة جزائية يعمل الذنب ولا يعلم به أحد الا الله فيأتى ويربط نفسه الى سارية المسجد ، ولا يتركها حتى يغفر الله له ويفكه رســوله ، هــذا ما فعــله أبو لبابة . اذن العقيــدة الراســخة فى النفوس هى أساس الاصــلاح . وصاحب العقيــدة اذا تعرض

لاضطهاد أو حيف دخل عليه وهو واثق أنه رابح .

بقى أمر اذا كان حكامنا يتطوعون لبعض القضايا الاسلامية أنردها عليهم . أم نقبلها منهم ونشكرهم عليها ونقول لهم هداكم الله فى الباقى حتى يأتى يوم يكون الناس واثقين فيه من كلامهم فيقولون : يا ولى الأمر نحن نريد أن تحكم بما أنزل الله . وبهذا نسلم من الهزات ، ونسلم من الزلات ، وبهذا نسلم من الهوى الذى يحرك طوائف كثيرة لكل طائفة رئيس فى رأسه هواه ، وبذلك نسير سيرا مستقيما ، والذى يطبق منهج الله فيها ولايته فيه على نفسه تكون الدنيا حوله نارا وهو لا يشعر ، والأمور التى فى أيدى الحكام أتركها لهم الى أن يأتى الانسان الذى كشف الله عن بصيرته ومكن الله له فى الأرض ـ والحكام كلهم الآن ممكنون ـ حينئذ يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء .

كان للحكام زمان عذر يقـولون : الاسـتعمار حاكمنا ، الاسـتعمار حاكم مناهجى ، الاسـتعمار مقيدنى .

كان فى الاحتلال أعـذار قوم
فتولى لا عذر بعـد الجلاء

وحينما يؤدى كل فرد ما ولايته فيه على نفسه ثم على بيته وحينما يكثر عدد هؤلاء الأفراد فثقوا تمام الثقة أن الحاكم الذى يحكم بغير ما أنزل الله سيسقط وحده دون عمل .

مطابع المختار الاسلامى
دار السـلام

مكتبة القرآن

